

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[400] لكن أفضلها جميعاً هو التفسير الأول. وعلى أية حال، فلا ينبغي نسيان أن جانباً من الجهاد هو الجهاد بالأموال، ومن الطبيعي أن كل جهاد للعدو وقاتل ضده يحتاج إلى أموال وميزانيات يجب أن تجمع وتهيئاً من قبل المسلمين الزاهدين في الدنيا وغير المتعلقين بها. والآيات مورد البحث تهية - في الحقيقة - الأرضية الفكرية والثقافية لهذه المسألة. ولتبيان تعلق أغلب الناس بأموالهم وثرواتهم الشخصية تضيف الآية التالية: (إن يسألكموها فيحلفكم تخلصوا ويخرج أضغانكم). "يحفكم" من مادة إحاء، أي: الإصرار والإلحاح في المطالبة والسؤال، وهي في الأصل من حفاً، وهو المشي حافياً، وهذا التعبير كناية عن الأعمال التي يتابعها الإنسان إلى أبعد الحدود، ومن هنا كان إحاء الشارب يعني تقصيره ما أمكن. و"الأضغان" جمع ضغن، وهو بمعنى الحقد الشديد، وقد أشرنا إليه سابقاً. وخلاصة القول: فإن الآية تبين التعلق الشديد لكثير من الناس بالأموال المالية، وهي في الحقيقة نوع من اللوم ولتوبيخ لهؤلاء، وفي نفس الوقت ترغيب في ترك هذا الارتباط، وتشويق إلى هذا المعنى، فإن تعلقهم بلغ حداً أن سبحانه إذا سألهم شيئاً من أموالهم فإنهم يغضبون ويحقدون عليه! وبذلك فإن الآية تريد أن توقظ أرواح البشر الغاطسة في نومها العميق بسوط التقريع واللمامة والعتاب، ليرفعوا عن أعناقهم قيود الذل والعبودية للأموال، ويصبحوا في حال يضحون عندها بكل ما لديهم في سبيل الله، ويقدمون ما عندهم بين يديه، ولا يرجون في مقابل ما يعطون إلا الإيمان به وتقواه ورضاه عنهم. والآية الأخيرة - من الآيات مورد البحث، وهي آخر آية من سورة محمد - تؤكد آخر على ما مر في الآيات السابقة حول المسائل المادية وتعلق الناس بها، ومسألة الإنفاق في سبيل الله، فتقول: (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل).